سعاد متلف / الصفحات: من 113 إلى: 00
الملتقى الوطني (الأبعاد الفنية والدرامية لفضاء المدينة في الخطاب الروائي المعاصر) جامعة الشلف- 22-23 نوفمبر 2022م
Available online at https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/715

البعد الجمالي للمدينة في رواية "الطاعون" لألبيركامو

The aesthetic dimension of the city in Albercamo's novel The Plague.

دة. سعاد متلف
جامعة حسيبة بن بوعلي- الشلف(الجزائر)
metlefsouad89@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2022/12/02 تاريخ القبول:2022/12/04 تاريخ النشر: 2022/12/31

الملخص باللغة العربية:

عرفت الرواية تطوراً ملحوظاً في الآونة الأخيرة مقارنة بالسنوات الماضية، وذلك من خلال ما عالجته من مواضيع تتحدث عن الواقع الاجتماعي بامتياز، بما يدور فيه من قضايا اجتماعية وسياسية وتاريخية ونفسية ...وقد تجلى مؤخراً الحديث عن حضور المدينة ومواصفاتها في الرواية المعاصرة بشكل لافت للنظر، إذ أصبح حضورها يشكل أبعاداً جمالية وفنية وتارخية وثقافية وأبعادا أخرى لا تقل شأناً، إذ تنوعت صورها عبر دلالات ومقاصد باتت تشكل إطار الرواية في تطورها وزيّها الجديد، وقد كانت لنا وقفة تأملية في رواية الطاعون لألبير كامو مما تجلّت فيها صورة المدينة العربية وما فيها من أبعاد فنية وثقافية تحكي تاريخ المنطقة، ومن هذا المنطلق راودتنا إشكاليه مؤداها: كيف تجلت صورة المدينة في المتن الروائي لألبير كامو؟ وما هي الأبعاد التي توفرت في رواية الطاعون بشكل بارز؟ وهل حققت الرواية بعدا فنياً في ذلك؟

توصلنا في نهاية البحث إلى نتيجة مفادها أنّ تجليات صورة المدينة في رواية الطاعون كان لها أبعاد .....وأنّ حضور المدينة في المتن الروائي احتفى بأبعاد جمالية وفنية راقية أكسب الرواية صبغة إبداعية منقطعة النظير.

الكلمات المفتاحية: البعد الجمالي، الرواية، الطاعون، البيركامو. الواقع الاجتماعي.

Abstract :

The novel has witnessed a remarkable development in recent times compared to previous years, through the topics it dealt with that speak of the social reality in excellent way, and the social, political and historical issues that take place in it... The talk in the novel about the presence of the city and its specifications in the contemporary novel has been clearly remarkably. For consideration, as its presence has become aesthetic, artistic, historical, cultural and other dimensions of no less importance, as its images diversified through connotations and purposes that form the framework of the novel in its development and new uniform. Artistic and cultural dimensions that tell the history of the region, and from this point of view we had a problem: How was the image of the city manifested in the narrative text of AlbertCamo? What are the dimensions that were prominently present in the Plague novel? Did the novel achieve an artistic dimension in that?

At the end of the research, we came to the conclusion that the manifestations of the image of the city in the novel of the plague was narrating about suffering, exile, separation and imprisonment... because of the plague and that the city's presence in the novelist's text celebrated aesthetic and historical dimensions.

Keywords: the aesthetic dimension, the novel, the plague, Al-Berkamo.social reality.

مقدمة:

شهدت الرواية العربية تطوراً ملحوظا في الآونة الأخيرة، كونها أصبحت تعالج قضايا نابعة من المجتمع المعيش، ولو تأملنا الإبداع الروائي منذ نشأته إلى يومنا هذا نجده قد تجددت فيه بعض اللمسات الفنية التي لم تكن موجودة من قبل، وهو ما أضاف للرواية صبغة جمالية غنية بمواصفات الإبداع الفني في مستواه الهادف، لذا تعتبر الرواية جنساً أدبياً إبداعي، يصور أحداثاً وقضايا وقعت في المجتمع وتحاول إيجاد حلول لها قدر المستطاع، وهي عدة أنواع منها الرواية الاجتماعية والسياسية، والتاريخية والرومانسية وغيرها، وتتباين مضامينها حسب القضية التي تطرحها، فهي نمط سردي يرسم بحثا إشكالياً، يقيم حقيقة لعالم متقهقر، في تنظيم لوكاتش وغولدمان"[1]

تعريف الرواية: الرواية هي "سرد قصصي نثري طويل يصور شخصيات فردية من خلال سلسلة من الأحداث والأفعال والمشاهد، فهي شكل أدبي جديد لم تعرفه العصور الكلاسيكية والوسطى، نشأ مع البواكير الأولى لظهور الطبقة البرجوازية، وما صاحبها من تحرر الفرد من ربقة التبعيات الشخصيات."[2] فالرواية بطبيعتها فن ترتيب الأحداث وسردها بطريقة إبداعية بعيدا عن الغموض والتعقيد، بها يستطيع القارئ أن يربط ويترجم الأحداث بخياله.

تعريف البعد: "هو مصطلح تصويري فضائي، اقتبس من الهندسة، ويستعمل في جلّ المفاهيم الإجرائية المستعملة في السيميائية"[3] نلحظ أنّ البعد أول ظهور له كان في الهندسة الفضائية التي تتطلب استخدام تصوير البعد والمسافات، ثم توسعت استخداماته في المجال السيميائي الذي يعتمد على الإشارة والرمز.

مصطلح البعد الجمالي: هو إيجاد مسافة وجدانية واضحة، تفصل بين شخصية القارئ والعمل الفني، الذي يظهر بعيداً عن مجال تجارب القارئ، حيث يتحدد البعد الجمالي بمعايير العصر واكتشاف الشاعري"[4] يتبين لنا في هذا المقام أنّ البعد الجمالي هو البحث عن المسافة أو المساحة إن صح التعبير الموجودة بين المتلقي والمؤلف، والتي تكون خفية عن ذهنية القارئ؛ لأنّ ذلك الفارق هو الذي يحدد أبعاد الفن الإبداعي بين الباث والمتلقي.

ويمثل علم الجمال ضرباً من النشاط الذي يتمثل في قيام الإنسان بتوصيل عواطفه إلى الآخرين"[5] فالجمال اجتهاد المبدع في نتاجاته الفكرية من أجل إبلاغ مقاصده ورسالاته المفعمة بصدق الشعور والعواطف للآخرين.

مصطلح الجمالية: هي نزعة مثالية، تبحث في الخلفيات التشكيلية، للإنتاج الأدبي والفني، تبرز جميع عناصر العمل في جماليته، كما ترمي النزعة الجمالية إلى الاهتمام بالمقاييس الجمالية، بغض النظر عن الجوانب الأخلاقية ، انطلاقا من مقولة "الفن للفن" وما كان من شروط إبداعية في العمل الفني هو بلوغ الجمالية"[6] بمعنى أنّ الجمالية تحاول إبراز العناصر الشكلية انطلاقاً من مرجعيات نابعة أساساً من العمل الفني، كما تسعى إلى تثمين أبعاد وقيم الإبداعية في كل جوانبها، دون مراعاة في ذلك الجانب الأخلاقي.

فالجميل الوحيد الذي نعتني به- وهو ما لا يفاجئنا- فهو الجميل الفني، جميل الإنتاجات الإنسانية، بمنأى عن الجميل الطبيعي. لماذا ببساطة؟؛ لأنّ الجميل الفني هو دوماً أعلى من جميل الطبيعة. إنّه إنتاج الفكر، والفكر يعلو الطبيعة، فإن علوه يبلغ عنه أيضا عبر إنتاجاته وعبر الفن وبالتالي"[7] فالإبداع الإنساني النابع من الفكر هو الذي يصنع تميزا بين الانتاجات الأخرى لأنه يتجدد ويتطور ويتفرد، فحقيقته تكمن في أنّه يتفوق على الجمال الطبيعي.

لمحة موجزة عن نشأة الرواية العربية: تمثل الرواية القلب النابض واللسان الناطق للمجتمع، كونها تتحدث عن القضايا المجتمعية والأحداث التاريخية والسياسية، بفضلها استطاع الكاتب أن يترجم ما يمكن ترجمته من أحداث باتت تدور في ذهنه، والأجمل ما في الرواية بفضلها قد عالجت قضايا في المجتمع مثل، العنف، الانتحار، الحرب...، إلى غير ذلك لقد كان تطور الرواية في القرن الثامن عشر حتى القرن العشرين مطابقا لتطور البرجوازية، مما ربط هيغل بين ظهور الرواية وتطور المجتمع في إطار بحثه عن الخصائص النوعية للشكل الروائي.

كما أنّ الرواية العربية المعاصرة هي التي تنتمي زمانيا إلى نهايات القرن العشرين، أمّا إطارها الفكري هي التي يدرك أصحابها أنّ الأصالة لا تعني القوقعة والانزواء مثلما تعني المعاصرة والتفتح، والتغريب، بل إنّ الهوية لا تكون بعيدة عن روح العصر"[8] بمعنى انّ الرواية المعاصرة تتكفل ببعث قضايا الواقع فهي نافذة المجتمع في هويته وأصالته وانفتاحها على قضايا الأمة.

يمكننا القول أنّ الرواية فن أدبي راقي يتطور يوما بعد يوم غايته إمتاع المتلقي ومعالجة قضايا نابعة من صميم المجتمع بطرق تأثيرية وتأثرية، كما تحاول الرواية المعاصرة أن تنقل أحداثاً في قالب إخباري سردي ممتع يتوفر على فنيات الخطاب الروائي ومكونات السرد من شخصيات، الزمان والمكان، والحبكة الفنية وما صاحبها من تأزمات وتغيرات في الرواية، فغائية الرواية تتغير من عصر إلى عصر.

سعاد متلف / الصفحات: من 113 إلى: 00
الملتقى الوطني (الأبعاد الفنية والدرامية لفضاء المدينة في الخطاب الروائي المعاصر) جامعة الشلف- 22-23 نوفمبر 2022م
Available online at https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/715

فالتغييرات الجديدة التي تبنتها الرواية المعاصرة أصبحت تشكل وعي القارئ وتبني أفق توقع المتخيل الروائي، فقد ساهمت في:

- تطور الفن الروائي العربي المعاصر.
- خلق أفق توقع القارئ
- إغناء الرواية بأبعاد تاريخية جغرافية وثقافية وجمالية.
- منح القائ المخيال أبعد من الوصف الموجود في الرواية.

القارئ يأخذ صورة الرواية ثم يعيد تشكيلها بخياله من جديد.بالإضافة إلى ما شكله بعدي الزمان والمكان في الرواية.

الجانب التطبيقي:

ملخص رواية الطاعون "لألبير كامو": يتلخص مضمون رواية الطاعون في الحديث عن مدينة من المدن الجزائرية وهي مدينة وهران، التي اجتاحها الطاعون، وتفاقمت حالاته فأصبح يحصد العديد من الأرواح كل يوم، مما أجبر سكان المدينة البقاء في منازلهم، حيث امتنعوا عن الذهاب إلى العمل؛ فغلقت الدكاكين والمقاهي ودور السينما نتيجة لتفاقم الوضع وارتفاع عدد الضحايا، ومن جهة أخرى حاولت الكنيسة تخصيص يومي السبت والأحد لتكثيف العبادات والتضرع إلى الله تعالى والقيام ببعض الطقوس الدينية راجين منه أن يرفع عنهم هذا الوباء، وقد تجلى في الرواية جانباً إنسانياً نبيلاً حين تضامن الناس مع أهالي المدينة، وبعد فترة من الزمن بدأ الناس يتناسون الوباء، حيث عادت الحياة إلى مجاريها، وعاد الناس إلى انشغالاتهم وأعمالهم كما كانو في السابق، فتجدد النور في المدينة وفتحت المقاهي ودور السينما وامتلأت الشوارع بعدما كانت خالية يجتاحها الظلام، فقد استطاعو تجاوز المحنة بفيض واسع من أمل.

التعريف بالكاتب البير كامو: مؤلف وفيلسوف فرنسي ولد عام 07 نوفمبر 1913م ،هو واحد من النجوم الاجتماعيين لتيار الوجودية مع جون بول سارتر، من عائلة فقيرة ، عمل في المسرح والصحافة، نال جائزة نوبل للأدب، توفي في 04 جويلية 1960.[9]

من مؤلفاته: الغريب- أسطورة سيزيف، الموت السعيد، الطاعون...

سعاد متلف / الصفحات: من 113 إلى: 00
الملتقى الوطني (الأبعاد الفنية والدرامية لفضاء المدينة في الخطاب الروائي المعاصر) جامعة الشلف- 22-23 نوفمبر 2022م
Available online at https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/715

الوصف الجمالي للمدينة في رواية الطاعون: نحاول في هذه الرواية أن نستخرج الأوصاف الجميلة ثم نحدد الأبعاد الجمالية والفنية مع العلم أن الكاتب يطرح القضية بكل موضوعية.

وهو يتحدث عن مدينة وهران في قوله: " ولا يؤذن بالربيع هناك إلاّ نوع الهواء الرخي أو سلال الزهور التي يعود بها الباعة الصغار من الضواحي، إنّه ربيع يباع في الأسواق...وإنّما تحل الأيام الجميلة في الشتاء"[10] قام الكاتب في هذا المقطع بوصف المدينة بزهورها العطرة التي تكاد تكون هي الربيع بموكبه في حد ذاته، وهنا يقدم لنا صورة المدينة قبل اجتياح مرض الطاعون.

وقال أيضا: "ومواطنونا يعملون كثيراً، وإنّما من أجل الإثراء دائماً. وهم يهتمون خاصة بالتجارة ويوجهون عنايتهم قبل كل شيء حسب تعبيرهم إلى تدبير الأشغال، على أنهم يتذوقون هذه المسرات البسيطة، فهم يحبون النساء والسينما والاستحمام في البحر، ولكنهم بكل تعقل يحتفظون بلذائذهم ...وحين يغادرون مكاتبهم مساء يجتمعون في المقاهي...أو يجلسون في شرفاتهم"[11] فالحياة العادية في المدينة وهم يثابرون في العمل والتجارة من أجل كسب المال والثراء، وبعد الانتهاء من العمل يتجهون إلى المقاهي في آخر النهار.

لأنّ مدينة " وهران فهي في الظاهر على العكس مدينة لا ظلال فيها أي أنّها مدينة عصرية تماماً...وما دام للعادات في مدينتنا حظوة فإنّ الأمور على خير ما يرام ...وأهل مدينتنا يثيرون دائماً بصراحتهم وودهم وحيويتهم احتراماً معقولاً، وهذه المدينة الخالية من كل مظهر متميز، ومن كل ثبات روح، توحي آخر الأمر أنّها مريحة، فيستنيم إليها الناس"[12]

وهو لا يزال يصف بكل دقة هذه المدينة في قوله: "وكان الهواء لا يزال رطبا. وكانت سحائب مستديرة بيض تتقدم في السماء، وليست تلبث طويلاً حتى تلتهمها الحرارة الصاعدة، وكانت لا تزال تنبعث من أعشاب الحديقة بالرغم من جفافها رائحة رطبة، ولم تكن الشمس لتدفئ خلف بيوت الشرق إلاّ قبعة تمثال جان دارك المذهب الذي يزين الساحة[13] فالكاتب يصف كل صغيرة وكبيرة بما يحدث في المدينة من تغييرات مناخية وما فيها إشراقة شمس بنورها الذهبي، وجوها اللطيف، وفضاءه المستنير الذي لا يلبث حتى تغلب فيه حرارة الشمس.

إنّ المدينة امتلأت ...بحوية فرح وجدل عام شاركت فيه الولاية بأن أمرت بإعادة الإضاءة كما كانت في عهد الصحة. فكان مواطنون يتدفقون ضاحكين إلى الشوارع المضاءة تحت سماء باردة نقية"[14] فعاد الفرح إلى المدينة بعدما استولى فيها الطاعون من كل جانب وخرج الناس بعدما كانو في عزلة خلال فترة الطاعون، وربما الحياة كانت أكثر سعادة مما كانت عليه في السابق لأنّ الأمل كان أكبر في انتهاء هذا الوباء... أخيرا فتحت

أبواب المدينة فجر يوم جميل من أيام شباط فحياها الشعب والصحف والإذاعة وبلاغات الولاية"[15] وهذا كان ترحيباً واسعاً بالحياة التي كانوا يأملون في العودة إليها .

" كانوا يرقصون في جميع الساحات، وكان السير في الطرق قد تضاعف بقوة بين ليلة وضحاها ...وقد دقت أجراس المدينة أعنف الدق طوال بعد الظهر، فكانت تملأ بأصدائها سماء زرقاء ومذهبة..."[16] وهو إلاّ انتعاش للحياة في المدينة

8-البعد الجمالي للمدينة في رواية الطاعون: فالجمال في هذه الرواية لا يقتصر على الوصف الفني للمدينة؛ وإنّما أبعاداً أخرى تتمثل في التعريف بالمدينة العربية في الرواية بكل ما تحمل من أوصاف جمالية راقية، وأن يجد الكاتب حريته في أن يصف ويعبر ما يشاء وهو يصف مشهدا تصويرياً متناغماً يضع الرواية في مستواها الفني والراقي ، فيكتمل الجمال في هذه الرواية في ذلك مع الانسجام المتناغم الذي يصنع في مخيال المتلقي صورة المدينة بحيثياتها الرائعة والبالغة الوصف.

كما يكمن الوصف في جمال المدينة في حركيتها وسكونها وصمتها الذي تفلّت من سلاسل المرض وفي ظلامها الذي خيم على عتبات المنازل، وباتت المقاهي غالقة أبوابها وحتى دور السينما التي كانت تشهد إقبالاً هي أيضًا أقفلت الأبواب، فبقي النهار تصدق فيه شمسه، والليل تتجلى فيه نجومه، وبالرغم من ذلك كله فإنّهم يزرعون يوماً بعد يوم أملاً وافراً حتى عادت السعادة كما كانت في أول الأمر وانتعشت الحياة في المدينة من جديد.

فحضور المدينة في الرواية أضفى صبغة جمالية واهتمام بالغ من طرف الباحثين، إذ أصبح فضاء المدينة يشغل حيزا واسعا في الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة مما أهّل الراوية العربية بما تحمل من أبعاد فنية ومميزات عالمية في مجال الإبداع الروائي.

فتكامل البعد الفني مع البعد الاجتماعي يصنع فضاءا آخر منقطع النظير، وهذا الفضاء الذي يتحدد فيه من خلال تقنيات الوصف، ومراحل السرد مع حضور تتابع الأحداث وتسلسلها.

خلاصة:

نستنتج أنّ صورة المدينة في رواية الطاعون تجلى بشكل واضح، حيث أنّ حضورها شكل أبعادا فنية وتارخية كما أن "الكاتب البير كامو" تحلى بكل موضوعية أثناء طرحه للقضية، مما ظهر فيها نوع من الانسجام في الرواية على مستوى الشكل والمضمون معاً.

قائمة المصادر والمراجع:

- البير كامو، رواية الطاعون، تر: سهل إدريس، دار الآداب، لبنان، ط1، 1981.
إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، تونس، د.ط، 1986.
- سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، لبنان، ط1، .1985
- دغباج فاطمة، البعد الجمالي كبعد تحرري هربرت ماكيو نموذجاً، مجلة أبعاد، جامعة وهران، الجزائر، الجلد7، ع1.
- مارك جيمينيز، ما الجمالية، تر: شربل داغر، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان.
- كريمة غيتري، تداخل الأنواع الأدبية في الرواية العربية المعاصرة، جامعة تلمسان، الجزائر، 2016-2017.
موقع إلكتروني: https://m.marefa.org، 2022/10/26.

هوامش البحث:

[1]- سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ص102.
[2]- إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، تونس، د.ط، 1986، ص176.
[3]- سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، لبنان، ط1، 1985، ص51.
[4]- ينظر: سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ص51.
[5]- دغباج فاطمة، البعد الجمالي كبعد تحرري هربرت ماكيو نموذجاً، مجلة أبعاد، جامعة وهران، الجزائر، المجلد7، ع1، ص278.
[6]- المرجع نفسه، ص62.
[7]- مارك جيمينيز، ما الجمالية، تر: شربل داغر، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ص192.
[8]- ينظر: كريمة غيتري، تداخل الأنواع الأدبية في الرواية العربية المعاصرة، جامعة تلمسان، الجزائر، 2016-2017، ص35-38.
[9]- موقع إلكتروني: https://m.marefa.org، 2022/10/26، 21:30.
[10]- البير كامو، رواية الطاعون،تر: سهل إدريس، دار الآداب، لبنان، ط1، 1981، ص5.
[11]- المصدر نفسه،، ص6.
[12]- البير كامو، رواية الطاعون، تر: سهل إدريس، ص7.
[13]- المصدر نفسه، 154.
[14]- المصدر نفسه، ص266 .
[15]- البير كامو، رواية الطاعون، تر: سهل إدريس،ص 286.
[16]- المصدر نفسه، ص 154.